الدولة عند ابن خلدون

أ. بن عمر سامية
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا
جامعة الأغواط

مقـدمة:

إن ابن خلدون صاحب مشروع فكري كبير متنـوع ومتكامـل عـن التـاريخ والحضارة، تناول فيها الظواهر الجزائية والكلية متفرقة ومتحدة ومتحركة وسـاكتة، باحثا عن اسرار حركتها وسكونها وعن علل قوتها وضعفها وعـن قـوانين نـشأتها واضمحلالها في الماضي وهي موجودة اليوم وستبقى مابقى الإنسان في هذا الكـون، بغض النظر عن لغتها ودينها وموطنها، أما الشيئ الجديد الملحوظ هو تنوع وتطـور الطرق والأساليب والمناهج المعرفية، التي درست الدولة وتناولتها من أجـل معرفـة عناصرها وكشف قوانين حركتها وحياتها، ورغم هذا التنـوع والتطـور فـي وحـدة المناهج والتخصصات والمجامع العلمية وغير ذلك من وفرة المعلومـات المـسموعة والمقروءة والمرئية والتطورات الحادثة في وسائل الأعلام والتكنولوجية بصفة عامة، والتي لم يكن ابن خلدون يعرفها ويشهدها أو يعيش في ظلها، إلا أنه استطاع أن يكون سباقا في هذا المجال ودرس الدولة قبلهم فاعتبرها ظاهرة إجتماعية تاريخيـة راقيـة تسعى للوصول إلى منتهى التطور والثقافي الشخصي المحلي للجماعة والـدخول فـي دور الخضارة وهو دور الرقي الإجتماعي الثابت الذي لا يتطور أي منتهي العمران [1].

فمقدمة ابن خلدون كلها تقريبا تدور حول موضوع مركزى هو الدولة، وهناك من يعتبر ابن خلدون عالم اجتماع الدولة إذا استطاع أن يربط الأوضـاع الـسياسية بالبناء الإجتماعي القائم معتيرا الدولة ضرورة إجتماعية وإقتصادية في أن واحد.

1 ـ **التعريف بابن خلدون:**

هو عبد الرحمن بن خلدون الذي ولد وتوفي في الفترة بين (1332 – 1406) وهو مؤرخ وفيلسوف اجتماعي ، عربي مسلم ، ينتهي نسبه الى وائل بن حجر من عرب اليمن أقامت أسرته في تونس ، حيث ولد ونشأ وتعلم بهاعلى يد والده ثم على يد الاستاذ بن عبد الله الانصاري ودرس عنه الفقه ، كما درس العلوم العقلية والرياضية والفلك والفن والطبيعيات ومنطق والفلسفة على يد ابو عبد الله محمد التلمساني، ثم تنقل في بلاد المغرب والأندلس، ثم أقام بتلمسان، وشرع في تأليف تاريخه، وبعدها عاد الى تونس، ومنها انتقل الى مصر، واتصل بسلطانها فولاه القضاء،ثم انقطع للتدريس و التأليف، فمقدمته المعروفة لها قيمة كبيرة لإشتمالها على فصول في أصول العمران والنظريات الاجتماعية والسياسية، وتصنيف العلوم وغير ذلك مما جعل من ابن خلدون مؤسسا لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع الذي يقول عنه أنه فرع فلسفي جديد لم يخطر على قلب أرسطو . قال ابن خلدون في مقدمته:(إن كثيرين قبله حوموا على الغرض ولم يصادفوه، ولا تحققوا قصد، ولا استوفوا مسائله). وأمل ابن خلدون ممن يأتون من بعده أن يستمروا في البحث، فيتمموا ما فاته من المسائل، وتحقق أمله بالفعل ولكن على أيدي الفلاسفة الغربيين أمثال فيكو وأوجست.

لقد عاش ابن خلدون ستة وسبعين سنة كانت كلها جهادا ونشاطا في ميادين مختلفة تجلت في عدة آثار، أهمها:

1 – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، 2 – التعريف بابن خلدون،

3 – شفاء السائل وتهذيب المسائل، 4 – وصف المغرب العربي. (2)

2 ـ **نشأة الدولة:**

إن الضرورة هي التي تدفع الإنسان دفعا إلى الإجتماع مع بني جنسه لتحقيق رغبائه لأنه لا يستطيع أن يحققها وحده، والفرد بدو مجتمع لاقيمة له ولا يساوي

شيئا في هذه الحياة لأن قيمته الحقيقية كإنسان متميز عن باقي الكائنات الحية تكمن داخل الحياة الاجتماعية التي تفرض عليه التعاون مع الجماعة والانصهار في بوتقتها من أجل الحصول على كل رغباته وتأمين حياته.

فالحياة الاجتماعية إذن هي الضمان الأساسي لحياة الأفراد وبها يحافظ الإنسان على بقائه المستمر، فهي التي توفر للأفراد وسائل الحياة وتحميهم من كل الأخطار المحيطة بهم والتي تسبب في إنقراض النوع الإنساني وهذا ما جعل افراد المجتمع يفكرون في اتجاد وسيلة يتخلصون بها من هذه الأخطار، وحل مقبول يضم سلامتهم وأمنهم وينظم علاقاتهم ويحول بينهم وبين الإنسياق وراء ما يشتهون بدون حق ولا مشروعية فيمحق الظلم وينشر الحق والعدل، فأصبح من الواجب عليهم إختيار واحد يتحكمون اليه ويكون قويا شجاعا قادرا على مواجهة المشاكل ذو عصبية قوية،لأن القوى هي أساسا الحكم وبدونها لا يستطيع الحاكم ان يؤدى مهمته ولا أن يسمى حاكما .[3] و ابن خلدون يقول في مقدمته "الملك منصب طبيعي للأنسان، لأن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا بإجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم" [4].

ويرى ابن خلدون بأن المحرك الأساسي في تكوين نشأة الدولة وبناء صرحها هو القوى والعصبية، فالدولة في نظره تعتمد في قيامها على افراد المجتمع وإخضاعهم إلى نظامها السياسي الذي يحقق الوحدة والتعاون والإنسجام .

فقد إكتشف ابن خلدون قاعدة القوى والعصبية عندما كان يبحث عن أسباب نشأة الدولة في بداية حياة الشعوب والمنابع التي نبعت منها في كل مجتمع هذه القاعدة التي يبرز منها رجال قوي محترم يستطيع أن يمسك الأمور ويقهر كل جموح ويحفظ الأمن ويقيم السلام ويصون المبادئ السامية من دين وأخلاق وحقوق وحرية وهو نفسه ينبغي ان تتوفر فيه هذه الشروط لأنها أساسية لحياة المجتمع وأن الحياة بدونها جحيم، فيقول ابن خلدون " فاستحال بقائهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم" [5].

هكذا يرى ابن خلدون بأن نشأة الدولة وتكوينها يعود أساسا إلى العصبية المتوفرة على القوى والتي هي القاعدة الأساسية لظهور الدولة، والتي تبدأ من الأسرة ثم تتطور إلى القبيلة التي تنتقل منها إلى الاستحواذ على القبائل الأخرى، وهنا تبدأ نشأة الدولة وذلك بإنضمام قبيلة إلى أخرى نظر لروبط المتينة الموجودة بينها أو لا تفاق وتحالف أو بضم قبيلة أخرى عن طريق الغلبة والقوى [6].

وهنا تصبح الدولة عند ابن خلدون ضرورة إجتماعية بدونها لا يمكن العيش ولا يمكن للمحتمع أن يكون لأنه بدون ملك لا يكون عمران، "فالدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة، والدولة عمران لا تتصور، والعمران دون الدولة متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي إلى الوازع (...) والدولة بالحقيقة الفاعلة في مادة العمران انما هي العصبية والشوكة،وهي مستمرة مع اشخاص الدولة،فإن ذهبت تلك العصبية ودفعتها عصبية ودفعتها عصبية اخرى مؤثرة في العمران فإذا ذهبت أهل الشوكة بأجمعهم. " [7].

وفي النهاية يؤكد لنا عبد الغني مغربي وبإختصار بأن العصبية التي تعمل على نشاة الدولة وتأسيسها ماهي الإعبارة عن تأليف بين الإلتحام الإجتماعي من جهة وسيطرة وسيادة الحاكم المقدس من جهة أخرى. [8]

3 - **نظرية الدولة عند ابن خلدون (تعقب الدوري)**:

يعتبر ابن خلدون من أقدم المنظرين القائلين بنظرية الدورة الحضارية قبل أن يقول بها غيره من أعلام الفكر الأوربي أمثال فيكو وهوبز وغيرهم فقد درس الدولة وهي في خطواتها الأولى ومرحلتها الجنينية قبل ولادتها إلى غاية ظهورها ثم اختفائها.

فنظريته المعروفة بنظرية التعاقب الدوري للحضارة تفسر التاريخ بالحركة الدائرية، فهي عبارة عن عجلة تدور وتبدأ من نقطة البداية لتصل الى نقطة النهاية، وهي نفسها نقطة بداية لدورة أخرى جديدة وهكذا تتحرك الدولة في نظام دائري متواصل وفي تعاقب دوري بين النشأة والإزدهار والإنحطاط، خاضعا لحتمية مصرية

لا تتغير في دورة مبينة على التناقض بين العصبية والملك ثم الملك يهدم العصبية وهدم العصبية يؤدى إلى هدم الملك [9].

فهرم الدولة عند ابن خلدون أمر طبيعي، فالدولة تمر بمراحلها الثلاثة في دورة ثنائية بين البداوة والخضارة داخل إطار الدولة، فهي لا تخرج من مرحلة إلى أخرى إلا لكي تعود إلى مرحلتها الأولى، وقد اهتم أبن خلدون بدراسة (ظاهرة التعاقب الدائري للهيئات الحاكمة) ولا حظ بأن الحكم الساسي تتعاقب فيه أجيال تكون" نماذج سيكولوجية"، فيأتي أولا حكم العادلين ثم الطموحين ثم أنصار طبقة الأغنياء، ثم المستهترين، ثم الطغاه، وهذه الفوارق النفسية هي التي تفسر في نظر ابن خلدون زوال الأسر الحاكمة واحلال غيرها محلها، ويحدث هذا التعاقب الدائري خلال قرن من الزمان وذلك لأن ممارسة الحكم تجعل الحكام يميلون إلى حياة اللهو والدعة، فتأتي بعد الأجيال القوية الأولى فئات تعتقد أن السلطان ليس ثمرة الجهود، ولكنه حق مكتسب بالوراثة وإذا تغلغلت هذه الفكرة في نفس الحكام ظهر الزوال والإضمحلال [10].

ومن خلال هذه النظرية يتضح لنا بأن ابن خلدون سبق عصره وجاء بما توصل له المحدثون بعده بقرون، فإبن خلدون هو المؤرخ والعلامة العربي الوحيد الذي استطاع إن يدرس الدولة وتعرض لأطوارها ومراحلها وعرف ما بين البداوة والحضارة من صراع.

4 - أطوار الدولة:

لقد قسم ابن خلدون أطوار الدولة إلى خمسة أقسام خلال مسيرتها التطورية منذ تأسيسها إلى غاية سقوطها ونهايتها في سلسة متتابعة الحلقات تتشبه تماما تطور الكائن الحي، فهو يقول في هذا المجال (أعلم أن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة، ويكتسب القائمون بها في كل خلقا من أحوال نلك الطور لا يكون مثله في الطور الأخر.... وحالات الدولة وأطوارها لا تغدو في الغالب خمسة)، وهذه الأطوار هي:

أ - الطور الأول:

وفيه يتم الاستيلاء على الملك وانتزاعه ممن كان مازال متمسكا به من بقايا الدولة المنقرضة، فيبدأ تأسيس الدولة والحفاظ على العصبية القبلية، ويبدأ بجباية الضرائب، فطابع هذا الطور عسكري توسعي.

ب - الطور الثاني:

في هذا الطور يبدأ التخلي عن العصبية القبلية، واستبدالها بالعصبية الإصطناعية التي اصطنع فيها صاحب الدولة الرجال والموالي لخدمته، فهذا الطور هو طور توطيد السلطة والملك والإنفراد بالحكم، فيتم فيه غزو بقية القبائل وإخضاع ما تبقى من إقاليم، فتتسع قاعدة اموال الضرائب و تزداد الدولة قوة وغني.

ج - الطور الثالث:

وفيه يتخلص صاحب الدولة من العصبية القبلية التي أصبحت تشكل خطرا عليه ويتم اسبدالها بعصبية جديدة أخرى يصنعها بما اجتمع لديه من الأموال وكثرة مداخيل ضرائب الأقاليم وتنوع وتعدد الحرف والصنائع، ويعد هذا الطور إقتصاديا عمرانيا قويا حيث تشيد في المباني الحافلة والمصانع العظيمة والهياكل المرتفعة.

د - الطور الرابع:

وهو مرحلة قنوع واستقرار ومسالمة للحاكم فيرضى بما حققه أسلافه مسالما لمناصيريه وجيرانه من الملوك والأمراء، متبعا ومقلدا أثار من سبقه معتمدا على عصبية العساكر و الموالي والثورة .

هـ - الطور الخامس:

ويعتبر أخر أطوار الدولة وسمي بطور الاسراف والتبذير حيث يقوم الحاكم بإتلاف وإسراف الثروات التي جمعها أسلافه في حياة البذخ والترف والشهوات ويسند المسؤولية والمناصب العليا لغير أهلها من الإكفاء وتكثر حوله بطانة السوء في مجالسه ويستعبد كبار الإولياء من قومه، ويتفرق عنه جنده ويتخلوا عليه

(وتحصل في الدولة ضيعة الهرم ويستولي عليها المرض المزمن الذي لاتكاد تخلص منه) [11].

هكذا تتضح النزعة العضوية التطورية عند ابن خلدون، فالدولة بالنسبة لـــه كـــا لكائن الحي: يحي ويموت، له بداية ونهاية ويخضع لعوامل النمو والفناء، ولقد ذهب ابن خلدون في نظريته إلى أبعد من ذلك فحدد أعمار الدولة وهذا ما سنتناوله فـــي النقطـــة الثانية.

5 ـ **إعمار الدولة:**

لقد تمكن ابن خلدون من ان يجرج بقانون يحكم حركة المجتمعات الإنـــسانية، فكل مجتمع سير في طريق طبيعي يجتاز فيه ثلاثة مراحل، مرحلة النشأة والتكوين ثم مرحلة النضج والأكتمال وأخيرا مرحلة الهرم والشيخوخة، ثم يفنـــي ليقـــوم علـــى انقاضه مجتمع اخر يجتاز نفس المراحل السابقة [12].

ويؤكد ابن خلدون ذلك في الباب الثالث من مقدمته في الفصل الرابـــع عـــشر بعنوان (فصل في ان الدولة لها أعمار طبيعية كما للاشخاص)[13]، فقد جعـــل ابـــن خلدون للدولة ثلاثة أعمار مرحلية طبيعية ولكل مرحلة بدايتها ونهايتها وخصائصها وحياتها التي تميزها عن المراحل السابقة لها أو اللاحقة بها، وهذه المرحل هي :

أ ـ **المرحلة الأولى:**

إنها مرحلة البناء والتأسيس و التشكيل للدولة هي بمثابة ورحلـــة المـــيلاد والطفولة وجيل هذه المرحلة يحمل خصالا تجعله مؤهلا وقدرا على تأسيس الدولـــة وحمايتها وإرساء قواعدها فهو جيل الخشونة والبداوة. وأن قوة اخلاق هذا الجيـــل هي التي تبني وتحمي طفولة الدولة فتية الحديثة النشأة .

ب ـ **المرحلة الثانية:**

إنها مرحلة القوى والإزدهار وفي هذه المرحلة تبلغ الحضارة أقصاها وتكون في أوج قوتها، وجيل هذه المرحلة يتمتع بالإزدهار الإقتصادي والتوسع والتفنن العمرانـــي،

ويتحول هذا الجيل من (البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ومن الإشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه).

جـ ـ المرحلة الثالثة:

يرى ابن خلدون بأن هذه المرحلة عي مرحلة الضعف والإنحطاط ثم الانقراض، وفي هذه المرحلة يسود الضعف الدولة والناس سواء بسواء، فيحتاج الناس إلى الرحة والدعة، ويغمسون في النعيم والترف والإسراف والشهوات، وأوكلوا أمر الدفاع عنهم إلى واليهم وحامية حراستهم وألقو السلاح ونتزلوا منزله النساء والوالدان الذين هم عيال، فلقد نسي جيل هذه المرحلة الثالثة عهد البداوة ونشوتها وفقد واحلاوة والعز والعصبية بالجملة وهذا ما يؤدي إلى فناء الدولة ونهاية عمرها [14].

هكذا حدد ابن خلدون أعمار الدولة بثلاثة أجيال، الجيل الأول وهو جيل البداوة والخشونة والسبالة، والجيل الثاني هو جيل التحول بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن عز الاستطالة إلى ذل الأستكانة فتنكسر سورة العصبية عندهم، أما الجيل الثالث فيصفه ابن خلدون وصفا يظهر فيه الإحتقار لاهله لما غرقوا فيه من ترف أنساهم عزتهم ورجولتهم [15].

وأمام ذلك كله يتأذن عمر الدولة بالفناء، ولكن ما هي أسباب التدهور والانحطاط التي أدت إلى سقوط الدولة وإنهيارها ؟

6 ـ عوامل قيام الدولة أو أنهيارها:

إن عوامل القوة لبناء الدولة قد تكون هي نفسها عوامل انهيارها فالعامل الذي يؤدي إلى بناء الدولة قد يكون هو نفسه عاملا قويا لتدهورها وانهيارها فالعصبية ضرورية لبناء الدولة والملك يكون سببا في القضاء عليها، والمال ضروري لبناء الدولة والترف أيضا منذر بزوال الدولة، فإن العوامل التي تعمل على تثبيت الدولة

وتقويتها هي نفسها العوامل التي تؤدي إلى ضعف الدولة وإنحطاطها ثم انهيارهـا، ومن أهم هذه العوامل نذكر ما يلي:

أ - العامل الاجتماعي :

هو العامل الرئيسي لقيام الدولة أو انحطاطها على حد السواء عند ابن خلدون ويتمثل هذا العامل في العصبية التي هي قرابة بالعصب والتحام قبلي وتضامن اجتماعي [16] والعصبية هي التي تشكل القاعدة المجندة والمدافعة الحامية عن الدولة، وهي النواة الأولى لها .

فالعصبية عند ابن خلدون هي مفتاح الديناميكا الإجتماعية لذا أعطاها أهمية قصوى، وأكثر من استعمالها والتأكيد عليها في مقدمته حتى تجاوزت الخمسمائة مرة [17]، حيث يلعب هذا العنصر الطبيعي دورا مهما في قيام الدولة أو انهيارها وزوالها فإذا كانت العصبية في مرحلة سابقة تؤدي إلى تكوين الدولة بها تمنحه من قوة لأفرادها لبناء جهاز الدولة فإنها مرحلة تالية وبعد ان ينتشر البذخ والترف وعيشة الأبهة بين اعضاء جهاز الدولة، فما تلبث العصبية أن تضعف وتعصف في النهاية بالدولة إلى الأنهيار[18]، فقوة العصبية قوة للدولة وضعفها ضعف للدولة وذوبان العصبية وإنحلالها نتيجة الترف والفقر هو نهاية لقيام الدولة وانهيارها .

ب - العامل الإقتصادي:

إن قوة الدولة عند ابن خلدون بقوة جمع مواردها المالية واقتصادها فعامل المال أو ما يطلق عليه اليوم بالإقتصاد يعتبر من أهم العوامل التي تعمل على تقويه الدولة والنهوض بها، فبأموالها تمون مشاريعها وتسد جميع حاجياتها وترفع مستوى معيشيها وتحقيق العمران والمجد[19]، فوفرة المال سلاح في يد الدولة فإن فقدته أصبح سلاح مسلطا عليها، فيرى ابن خلدون بأن المال أساسي لمبنى الملك وأقامة ما يحتاج إليه الملك من الاحوال.

وإن عدم وجود المال ووفرته ضعف وسوء التصرف فيه وتبذره ايضا ضعف، فكلاهما يضعف الدولة ويؤدي إلى انهيارها، ففقدان المال فقدان للملك، وفقدانه يكون عن طريق سوء التصرف فيه وفقدان التحكم في موارده، فحياة الترف والبذخ والاسراف في الشهوات والملذات والخلود إلى الدعة والراحة والإتكال على الغير، وليس هذا حال السلطان وبطانته فقط وانما يعم سائر الرعية لأن الناس على دين ملوكهم فيصبح الترف والإنفاق في أزدياد والإعمار في نقص وتراجع وتتوافق السواعد عن العمل وترتفع نفقات الدولة ورجالها فتمد الدولة يدها لجلب المال من الرعية بطريقه غير شرعية وينتشر الظلم وهذا ما يؤدي إلى خراب العمران وانهيار الدولة .

ج - العامل الأخلاقي:

إن عالم القيم والأخلاق والفضائل له مكانة أساسية في قيام الدولة والسلطان عند ابن خلدون، وبه تؤسس الدولة وتصان وأي مساس بهذا الجانب يؤدي إلى الفساد والإنحلال.

وكل الصفات والفضائل العليا هي قوة ودعامة للدولة ولسلطانها، وهي التي توفرت عند الجيل الأول مؤسس الدولة وحاميها، وكل المذمومات والرذائل هي أسباب وعوامل ضعف وإنقراض للدولة " إذا تأذن الله بانقراض ملك من أمه حملهم على إرتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في إنتقاض إلى أن يخرج الملك من أيديهم"

وكما أن الترف عند ابن خلدون هو السبب في كل شيء، فكذلك هو السبب الرئيسي في فساد الأخلاق، وإختفاء الفضائل وإنتشار الرذائل.

د - العامل السياسي:

يعتبر العامل الأساسي أكثر العوامل السابقة إرتباطا وتداخلا معها، فالسياسة ليست بمعزل عن الحرب والسلم والإقتصاد والإجتماع فهي التي تخطط وترسم معالم تلك المجالات، فإذا انحرف السياسي عن مساره وحكم بمفرده دون اللجوء إلى

رعيته، ودون مشورة حاشيته بدأ الإنحراف والأستبداد والظلم نتيجة انفراد واستئثار الحاكم بالملك والمجد دون مشورة غيره. أما الآخرون: " يقرع عصبيتهم ويكبح أعنتهم ويستأثر بالأموال دونهم فيتكاسلون ويعتادون الإستعباد".

فالسياسة الغير الراشدة واللامسؤولة والتي تعتمد على الغطرسة والظلم والبطش إتجاه الرعية والإنفراد بالملك، تفرق أكثر مما تجمع وتكون معول هدم تهدم قواعد الدولة فتعجل بإنهيارها وخرابها [20] .

فالدولة عند ابن خلدون مركب تأليفي من عناصر متداخلة أهمها عنصر طبيعي محرك "العصبية" وعناصر مادية تتولد عن وجود الدولة نفسها مثل جمع الأموال الكثيرة بالضرائب واستكشار الجيوش بتلك الأموال وظهور الأبهة الملكية للعيان، وبعضها عناصر معنوية نفسية مثل تعود الناس الخضوع لأمرها وانغراس الأيمان في نفوسهم بأن ذلك واحب لا صحاب تلك الدولة، فابن خلدون يعتبر رائد من رواد علم السياسة الحديثة فهو العالم العربي الوحيد الذي اهتم بموضوع الدولة وشروط قيامها واسباب انحطاطها لأن من سبق ابن خلدون من علماء وفقهاء كالفرابي وابن تيمية والغزالي وغيرهم كان إهتمامهم من إطار ضيق فقد اهتموا بالجماعة السياسة لا بالدولة، عكس ابن خلدون الذي سبق غيره في دارسة لدولة فقد تحدث عن القوة والعصبية قبل فردريك نتشه الالماني الذي درس نظرية القوى وكذلك ميكيافلي الايطالي الذي يري بأن القوى هي المحرك الاساسي لقيام الدولة كما تحدث عن اسباب نشوء الدولة قبل هربرت سبنسر الفرنسي الذي يرجع اسباب نشوء الدولة إلى الصراع مثل ابن خلدون .

وإذا كان هوبز (نظرية العقد الإجتماعي) يرجع ظهور السلطة السياسة إلى الصراع بين الافراد واتفاق الجماعة على اختيار شخص يحكمهم [22]، ويتولى أمرهم، فإن ذلك تناوله ابن خلدون قبله كما رأينا ذلك سابقا.

وهذا التشابه في وجهات النظر حول دراسة الدولة بالنسبة لعلماء الإجتماع المحدثين والمعاصرين دليل كافي على تأثرهم بأراء ابن خلدون واعتمادهم عليه.

وفي هذا المجال يقول (جورج سارتون) عن ابن خلدون " لم يكن أعظم مؤرخي العصور الوسطى شامخا كعملاق بين قبيلة من الأقزام فحسب بل كان من اوئل فلاسفة التاريخ سابقا ميكيافلي وبودان وفيكو وكونت وكورنو" [23] .

وهذا ما ينقي مقولة (عزيز العظمة) في كتابه ابن خلدون وتاريخيته حيث يقول (بأن ما جاء به ابن خلدون بسيط جدا وضحل وان المرء لا يجد في أي مكان من المقدمة تعريف فعليا للبدواة أو الدولة أو الحضارة) [24] .

وإن نظرية ابن خلدون ما تزال صحيحة في جوهرها ثابتة في أسسها إلى يومنا هذا لأن الاشخاص الذي يصعدون إلى كراسي الحكم لا بد أن يكون لهم أنصار يؤيدنهم ويؤازرونهم للاعتلاء إلى الحكم ويعود ذلك بالضرورة إلى العصبية القوية أو ما يسمى اليوم بالاتباع والأنصار المتكاتفين، لأن بروز شخص معين في الوسط الاجتماعي لا يتم صدفه وانما يأتي بواسطة عصبية من أهله و اصدقائه وحلفائه بالإضافة إلى قوة شخصيتة ومهارته التي تجعله يعظم في أعينهم ويرضون به حاكما، فالكتلة العصبية إذان هي أساس الحكم [25].

خاتمة :

في الختام يتضح بأن نظرية ابن خلدون عن الدولة لم تكن مرتبطة بعنصر واحد كما فعل بعض المنظرين فهو لم يغفل دور العصبية ولم يهمل دور الاقتصاد والمال ولا دور الدين ولا غيرهم من العوامل المختلفة، فنظريته كانت تجمع ما أجتمع لتلك النظريات مجتمعة من صحة نسبية فكانت نظريته أكثر نسبية من غيرها في طرحها للعناصر الاساسية لمشكلة الدولة والبناء الحضاري فقد تناول ذلك الكل المتداخل المتشابك من العلوم والمعارف والصنائع والظواهر والسلوكات معتمدا على

عبقريته الفذة بعقلية ثاقبة وفكر علمي سليم وتجربته الشخصية وواقعه السياسي والإجتماعي والوظيفي والإقتصادي والجغرافي والثقافي والحضاري، وتناول بالدرس والإستنباط والمقارنة ذلك الواقع بكل تناقضاته في إطار معرفي جديد سماه علم العمران وسماه غير فيما بعد بفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ودراسة الفكري الحضاري.

الهوامش والمراجع:

1- بن إبراهيم الطيب، مالك بن بني وابن خلدون، مواقف وأفكار مشتركة، دار مدني، (بدن بلد)، 2002، ص 85.

2- إدريس خصير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص ص 34.33 .

3- إدريس خصير، مرجع سابق، ص 134.

4- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، بيروت: دار مكتبة الهلال، 1988، ص 128.

5- نفس المرجع، ص 129.

6- إدريس خصير، مرجع سابق، ص 138.

7- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، الجزء الثاني، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 454 .

8- عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة محمد الشريف بن والي حسين، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، 1988، ص 159.

9- بن ابراهيم الطيب، مرجع سابق، ص ص 95.94 .

10- السيد محمد بداوي، مبادئ علم الاجتماع، ط 3، مصر: دار المعارف، 1976، ص 59 .

11- بن إبراهيم الطيب، مرجع سابق، ص ص 90.88 .

12- عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، بيروت: دار النهضة العربية، ط 7، 1977، ص 234 .

13- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة ، الجزء الاول، الدار التونسية لنشر، 1984، ص 221 .

14- بن إبراهيم الطيب، مرجع سابق، ص ص 98.96 .

15- محمد علي محمد، تاريخ علم الاجتماع،الاسكندرية: دار المعرفة الجامعة، 2002، ص 63 .

16- عبد الغني، مرجع سابق، ص 145 .

17- نفس المرجع، ص 143 .

18- عبد العالي دبلة، الدولة رؤوية سوسولوجية، القاهرة: دار الفجر، 2004،ص 33.

19- أدريس خصير، مرجع سابق، ص 147.

20- بن ابراهيمْ الطيب، مرجع سابق ، ص ص 104.102 .

21- عبد العالي دبلة، مرجع سابق، ص ص 32.31 .

22- إدريس خصير، مرجع سابق، ص ص 140.139 .

23- بن إبراهيم الطيب، مرجع سابق، ص 106 .

24- نفس المرجع، ص 110 .

25- أدريس خضير، مرجع سابق، ص 139.